مغامرات مؤمن

70

جـــوهرة

الوصية القاتلة

علاء الدين طعيمة

سمير عبد العزيز

دار الدعوة





- أغـــرب الرحـــلات والمفارقـــا
- تجـمـع بين المتعـة والمعـرفـ
- لاغنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلا



دار الدعوة

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ — ٣٩٠٧٩٩٨ / ٠٣

مغامرات عجيبة جداً

جوهرة الوصية القاتلة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع القانوني: ٢٠٠٦/٢١٩٩٨
الترقيم الدولي: 6 - 412 - 253 - 977

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفون: ٣٩٠١٩١٤ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥

مغامرات مؤمن

جوهرة الوصية القاتلة

تأليف:
علاء الدين طعيمة

رسوم
عبد الرحمن بكر

دار الدعوة



مغامرات عجيبة جداً..

قمة الفرح أن يعثر الإنسان على تاج أثرى عتيق خال من الجواهر، ولكن تكون قمة الإثارة والمتعة عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعى للعثور على جواهر هذا التاج، إنه يسافر فى رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار، فيتعرض للأخطار والأهوال ويرى نماذج غريبة من البشر وعجائب من الإنس والجن والأحياء والأموات، وفى كل مغامرة -بعد العناء والصراع مع المكان والزمان- يفلح فى إضافة جوهرة جديدة إلى التاج.

آخر الأوامر... وآخر الطلبات التى تُنفَذ لإنسان بعد مماته.. هى الوصية... يجلس المرء المستشعر دنو أجله ويمسك ورقة وقلمًا ثم يدون فيها طلبات وأوامر، على الآخرين أن ينفذوها.. ولكن بعد مماته.

وكل إنسان مسلم عليه أن يكتب وصيته حتى يتمكن أقرباؤه من أبنائه وذويه أن يتموا ما لم يتمكن من إتمامه فى حياته... فمثلاً قد يكتب شيئًا يتعلق بدَيْن له عند فلان أو دين عليه لعلان... أو أن يقسم أملاكه بطريقة شرعية ويهب لمن يشاء ما يشاء... لذلك.. ولأن أحدًا منا لا يعلم ميعاد موته ولا متى تكون ساعته.. فعلى الجميع أن يكتب الوصية وألا يبيت ليلة من دون أن تكون موجودة.

ولأى إنسان أقارب ممن يسمون الورثة الشرعيين الذين حدد لهم الشرع نصيبًا معينًا لا يجوز تجاوزه بأى حال. ولا يجوز حتى للميت نفسه أن يضمن وصيته قبل موته ما يهضم حق أحد من هؤلاء الورثة الشرعيين.

وجاءت بعض آيات القرآن الكريم ترسم حدوداً لهذا الأمر ولم تفرط فيه... فإذا مات من يملك من متاع الدنيا شيئًا.. فالورثة حسب الكتاب والسنة لا يختلفون.

لكن اشترط البعض فى وصاياهم قبل موتهم.. وكتبوا فى الورقة أشياءً عجيبة وطلبوا من الورثة بل ومن المجتمع طلبات تقشعر لها الأبدان.

فهناك من طلب إذا مات أن يحنطوا جثته، وهناك من طلب نزع جلده بعد موته لصنع غلاف لأحد

الكتب.. وهناك من أوصى بكل ثروته للقطط، وهناك من أوصى ببيع جثته للأبحاث الطبية، وهناك من أوصى بشراء أحذية يهبها للرياضة بكل ثروته.. وكلها أعاجيب لم يقر الإسلام بها... سوى أن الكثير من الناس يحبون تنفيذ طلبات ذويهم الأخيرة بلا تفريط ولا تقصير. لذلك.. كن حريصًا على أن تكتب وصيتك قبل نومك توصى فيها بما لا يتنافى مع الإسلام الحنيف وأن تذكر فيها من لهم حق عليك، وتوصى بالطريقة التى يمكن بها رد الحق لهم.

كان بطلنا مؤمن أيضًا لا يدع الوصية تترك جيبه، وعندما يرجع إلى بيته فى مصر يضعها فى درج بجانب وصية والدته.. كما كان يقوم بين الحين

والآخر بتعديلها حسب ما يستجد له من أمور وأحداث.

وكان ذات مرة فى القاهرة عندما سمع لغطًا وصياحًا من بيت أحد الجيران.

إنه بيت القصاب أو الجزار... السيد عفيفى... لم يمت السيد عفيفى بعد والحمد لله... لكن هناك أمرًا يخص وصيته التى سيعرفها أهله بعد موته... يبدو أنه قد أطلعهم عليها... وتسبب بذلك فى مشكلة عويصة... فوجئ مؤمن بمن يطرق الباب... كان كمال ابن عفيفى القصاب:

- مرحبًا كمال... تفضل.. تفضل.

- شكرًا يا مؤمن... لكن لابد أن تحضر مجلسنا... من فضلك.

- أنا؟

- كل الحضور يثنون عليك يا مـؤمن... لذلك اقترحت عليهم أن نحتكم إليك.. فوافقوا.

- هذا أمر يسعـدنى... لكن هلا جلست قليلاً وشرحت لى سبب الخلاف حتى أقف على حقيقة الأمر.

جلس كمال على تَحَرُّق وقال:

- أمر الوصـية يا مـؤمن... نحن من ريف مصـر... ولنا عادات فى الوصية لا يستطيع الكثيرون الخروج عنها.

- أى عادات بالله عليك؟

تدخلت أم مؤمن فى الحوار وكانت حاضرة فقالت:

- يا مـؤمن... لقـد فهـمت... بعض القـرى فى الريف المصرى تخالف الشريعة بخصوص وصية الميت.

- أعوذ بالله من مخالفة شرع الله... كيف يا أمى.. أخبرينى؟

- لقد أوصى الله تعالى أن للذكر مثل حظ الأنثيين... فإذا مات الرجل ورث ابنه الذكر ضعف ما ترثه ابنته الأنثى... لكن هؤلاء يا مؤمن يرفضون رفضًا تامًا هذا الشرع... ويوصون بالتركة كلها للذكور دون الإناث.

- سبحان الله... ولماذا يُقْدِمون على هذا الظلم؟

- الأمر أكبر من ذلك يا مؤمن... لما خاف البعض من مخالفة الشرع.. عمد الأب إلى وهب أبنائه الذكور كل التركة قبل مماته حتى لا تأخذ أو تطالب ابنته أو بناته بشىء بعد مماته.

- أعوذ بالله من هذا الضيم والهضم.. كيف يقبل المسلمون بذلك؟

نطق كمال الذى كان ثائرًا -كاظمًا غيظه:

- هذا ما يريده أبى يا مؤمن... يريد الآن أن يكتب كل أملاكه لى ولأخى مع أن لدىّ ثلاث بنات شقيقات...

- والله هذا أمر سيجد عاقبته بعد الموت حسرة وندامة..

خرج مؤمن مع كمال إلى بيت الأخير.. فوجد الأسرة مجتمعة.. البنات فى بكاء واعتراض والسيد عفيفى وزوجته يصران على مخالفة أمر الله. وكان مؤمن هو الحكم، واستطاع أن يشرح للسيد عفيفى وزوجته خطورة الأمر:

- يا مؤمن يا ولدى... لكل واحدة من بناتى أسرة وزوج مسئول عنها.. وسيتمكن زوجها بعد موتى من الاستيلاء على ثروتها.

- هذا لا يبرر موقفك يا سيدى.. والله أعلم منك ومنى بمصلحة المسلمين. ظل الحوار والنقاش دائراً إلى منتصف الليل... حتى أفلح مؤمن فى إقناع الرجل وتوجيهه إلى أن يتبع شرع الله تعالى... حمد الله على السلامة ثم عاد إلى البيت سعيداً فرحًا بأن الله عز وجل قد أصلح بين الناس على يديه.

لكن بعد مرور شهر على هذه الواقعة كان فى بلد آخر.. ومكان مختلف.. حسب ما كان يتّبع من توجيهات التاج... يدخل الآن مدينة من مدن القارة الأوروبية فى ذلك العصر على أعتاب الليل... على طرف المدينة غابة متباعدة الأشجار حيث يتمكن القمر من بسط أشعته فى كل مكان منها... يتقدم

نحو صوت بشرى غير معروف له... يلمح جوادين ثم يرى شبح رجل منحنيًا وهو جالس... هناك رجل آخر منطرح أرضًا... اقترب منهما بحذر.. كان الأمر أشبه بمأساة... إنها حالة احتضار.. ساعة موت قد حانت... شاب منحن على شيخ... الشيخ فى النزع الأخير.. الشاب يتكلم فى حوار هو الأخير مع والده:

- أبى .. أبى.

- لا تدع أحدًا يفرط فى وصيتى أو أن ... أو أن ... أو أن يتخطى الحدود التى رسمتها فيها... لا تدع أحدًا يتعدى على وصيتى يا كامبل.

- أبى ... لا تمت يا أبى ... أرجوك.

- الوصية يا كامبل.. الوصية فى درجة مكتبى... الوداع يا كامبل.

- أبى ... أبى ... لا تمت.

- أرى ناراً كبيرة تهرع نحوى يا كامبل... يبدو أن أباك من أهل النار.

- أبى لا تقل هذا الكلام.

- لم يتمكن أحد... أحد... أن.. أن يحدث بما يراه ساعة موته... لكن أتمكن... أنا... يا إلهى... هناك وحوش تتعارك لتنهش لحمى يا كامبل... كامبل... لا... لا...

- أبى... أبتاه... لا... لا لا لا.

اقشعر بدن مؤمن يقف عن قرب يشهد موقف احتضار أحدهم... لكنه لم يقف كثيراً... بل أسرع

ليكون مواسيًا لكامبل الذى لم يكن يعرفه من قبل.. لكن الإنسان.. أى إنسان مهما كان أو كانت عقيدته أو ملته.. لن يكون سوى.. إنسان.

كان كامبل يبكى بحرقة واضعًا رأسه على صدر أبيه المتوفى.. فوجد من يضع يدًا على كتفه... نظر إلى مؤمن ثم عاد يبكى:

- تماسك يا أخى.. تماسك... كلنا سنموت... كلنا سنشرب من هذه الكأس.

- من أنت.

- لا تخف... أنا عابر سبيل رأيت الموقف... ولا أبغى سوى مساندتك فى محنتك... أليس لك من أهل ودار.

- بل لى... نحن من أغنياء البلدة... ولابد أن يعرف أهلى بالخبر.

- خذ هذا السيف... حتى لا تهاجمك الوحوش.. وأخبرنى عن مكان البلدة والبيت.

- لا... لن يصدقك أحد... من الأفضل أن تبقى أنت لو تكرمت بجانب جثة أبى بينما سأهرع أنا لأخبر الجميع ولأحضر عربة نحمل فيها الجثة.

- وهو كذلك ... تفضل.

- شاكر لك يا أخى على معروفك.

- أسرع ولا داع للشكر.

جرى كامبل بجواده نحو البلدة بينما بقى مؤمن بجانب الجثة وأخذ ينظر حوله يبحث عن شىء يغطيها

به.. لكنه لم يوفق.. فكان يتحاشى النظر إليها. لكن فضوله كان يجذبه بين الحين والآخر فيسترق النظر.. إلى أن انتفض فجأة واقفًا... كان القمر بدراً تلك الليلة عندما لا يخدع الظلام البصير كالعادة... البلاد فى هذه الجهة يتميز أهلها ببياض ناصع للبشرة... لكن وجه الجثة بدأ يتحول إلى لون داكن ثم إلى سواد... كان يرى ذلك يحدث دون مقدمات.. وبسرعة كبيرة... انتفض مبتعداً عنه:

- يا إلهى... يا لسوء حالك يا رجل... يا إلهى... لقد اسود وجهه. ابتعد مؤمن قدر المستطاع عن الجثة وظل مع ذلك يراقبها مراعاة للأمانة، أما كامبل فقد فاجأ ثلاثة من إخوانه الرجال وأختين -بينما كانوا فى القصر الذى ورثوه حالاً من أبيهم- بالخبر.

وما هى إلا ساعة حتى علم أهل البلدة كلهم بموت والد كامبل، وخرجت مجموعة على الخيول برفقة عربة نقل الموتى ومعهم المشاعل إلى حيث موضع الجثة فى الغابة.

وتم نقل الجثة إلى البلدة، ونظر كامبل لمؤمن وأحس بشعور ود نحوه، وظلت نظراته تطلب منه ألا يبتعد عنه وأن يبقى بجانبه. وتمت مراسم الجنازة حسب معتقد البلدة وديانتهم. وأحس مؤمن أنه عليه تقديم واجب العزاء الرسمى لكامبل، فزاره فى اليوم التالى فى القصر:

- كيف أنت اليوم يا كامبل؟

- بخير يا مؤمن... كان أبى رجلاً لن تلد بلدتنا مثله.

مكث مؤمن فترة مع كامبل، ثم هم بوداعه ليكمل مسيرته، لكن الأخير أبى:

- مؤمن... بعد حديثنا اليوم وبعدما بدا لى من أخلاقك وخصالك ما يجعلنى أريد الاحتفاظ بصداقتك، أجدنى راغبًا فى استضافتك هنا فى القصر.

- معذرة يا كامبل.. أعتقد أن الظروف الحالية لا تسمح بذلك.. أرجوك.

- لا يا مؤمن... بل أنا فى هذه الظروف أشد احتياجًا إليك.. ولو كنت حقًا كما ادعيت أننى ألمس شيئًا فى صدرك يريحك... فابق معى.

- لكن...

- أرجوك يا مؤمن... غدًا سنفتح وصية والدى... وأرجو أن تكون حاضرًا.

- ما شأنى أنا بالوصية يا كـامبل... إنها أمر خاص بكم أنتم وحدكم.

- من عادتنا فى هذه البلدة أن يحضـر الأصدقاء وبعض الجيـران مراسم فـتح الوصية... ومن حـقى أن أطلب حضورك معى حتى تساعدنى.

تنهـد مـؤمن وكـان لا يفـضل التـدخل فى شـئون الناس... لكن تحت إلحاح كامبل وافق على مضض.

وأحضر جواده ومتـاعه وحصل على غرفة فى جناح كامبل الكبـير بقصر مورتيـمر. كان مورتيمـر أبو كامبل من أعـيان البلد... كـانت لديه ضيـاع كثيرة... مـزارع ومـراع ومصـايد وقـصور ودواب.. لكنـه لما شعـر بدنو أجله بعـد كـبـر سنه وتـدهور صـحـتـه، باع كل هذه

الممتلكات.. ولم يترك شيئًا سوى القصر الكبير... القصر الذى يضم بعضًا من أفراد عائلته... أبناؤه الرجال أربعة.. كامبل الصغير ثم فريدريك ثم مايكل وأكبرهم: نيل.. وبناته الاثنتان نانسى الصغيرة وكارمن الكبيرة... كلهم لم يتزوجوا حسب رغبة أبيهم.. الذى توعد من يتزوج بحرمانه من الإرث أو التركة... كان لكل واحد منهم جناح فى القصر... فلم يعلموا عنها أى شىء سوى أن الوصية سوف تخبرهم.. أين ثروة أبيهم وكيف سيتم توزيعها عليهم؟

فما من أحد يستطيع معرفة هذه الثروة إلا بعد فتح وصيته ومعرفة ما جاء فيها.. أعطى من وحرم من وفضّل من على من..

بات مؤمن الليلة وقضى النهار بطوله يتجول مع كامبل فى أرجاء القصر الرحب المترف.. إلى أن علم الجميع بأمره.. وشكروه أن قام بحراسة جثة أبيهم من السباع ووحوش الغابة.. وأدركوا أن كامبل سيتخذه عضداً له عند فتح المظروف المحتوى على الوصية.

وجاءت اللحظات الحاسمة مسرعة.. دخل مؤمن برفقة كامبل إلى حجرة مكتب الوالد المتوفى.. ولاحظ أن لا أحد هناك سوى أولاد المتوفى ولم يحضر أحدهم أى صديق ولا محام ولا رفيق، فتعجب، ولكن ماذا يعنيه فى الأمر.. لكل إنسان الحرية فى الحياة شريطة ألا يضر بهذه الحرية الآخرين. لكن كان يجلس خلف المكتب رجل أبيض الشعر

طويل.. منمق أنيق.. يضع أمامه قبعة ملتوية وفى يده غليون يسرع به إلى فمه كلما خبا:

- أعرِّفك يا مؤمن بمحامى والدى.. وهو المسئول عن فتح الوصية وتلاوتها علينا، وهو أيضًا المشرف الوحيد على تنفيذ ما تحتويه.. وليس علينا إلا طاعته.

قام كامبل بإخبار السيد فريدمان المحامى بتواجد صديقه مؤمن.. ولم يكن هناك من يعترض. كان الأخوة يجلسون متباعدين.. ومع ذلك يثير بعضهم حديثًا مع الذى بجانبه، فلما مد السيد فريدمان يده نحو الدرج وعبث فيه بمفتاحه ساد صمت مهيب.. وجلس الجميع كأن على رءوسهم الطير.. هذه لحظة الفصل.. الشوق فى نهايته، وقد حُبست الأنفاس

واشرأبت الأعناق، وأخـرج فريدمان العجـوز مظروفًا كبيرًا ثقيلاً وألقاه بلا اعتناء على سطح المكتب منشغلاً بإعادة إغلاق الدرج.

ابتلع الواحد تلـو الآخر لعابه وقـد حملقت مآقـيهم ومُطت أنوفهم نحـو المظروف.. بعد لحظات سيعـرفون الخبر.

قرأ السيد فريدمان ما كان مكتوبًا على ظهر المظروف الكبير:

- «يفتح بعد وفاتى».

لم يشعـر أن الأب قد مات ولـم يعد له فى الرءوس مكان... فكل الأذهان الآن فى واد آخر.

مـد فـريـدمـان يده بسـلاح فـتـح المظاريف.. وقص المظروف وأخرج ما به فأصاب الجميع بالدهشة... هناك



مظروف آخر بداخله.. لـكن الدهشة تحولت إلى إحـباط عندما قرأ ما كُتب على المظروف الداخلى:

- «يفتح بعد أسبوع من وفاتى».

قامـوا كلهم وقوفًـا ينظرون للسيـد فريدمـان بدهشة وهو يمط شفتيه علامة انعدام الحيلة، قال بعدها:

- بعـد أسبـوع يا جـماعـة... لا أملك سـوى التنفيـذ.. وأنتم كذلك.

مـرت أيام الأسبـوع كـالجبـال على الإخـوان ماعـدا كـامبل الـذى أخذ يصـحب مـؤمن فى رحـلات صيـد مـختلفـة... مـرة فى الغـابة ومـرة عـند النهـر لصـيـد السمك... وتعارفا، واستغل مـؤمن الفرصة ليكتشف ما فى صـدر كامـبل من خيـر وشـرح له تعاليم الإسـلام..

أحب كامبل الحديث عن الإسلام وكأنه يجد فيه نفسه... وهو الذى ما شعر أن هذا الأسبوع يمر كالدهر... مثل إخوانه الآخرين... فعجز بعضهم عن النوم وآخران جلسا يحسبان الحسابات.. وكثيراً ما تجمعوا يدرسون التوقعات.. كل منهم يحاول جاهداً تفسير عقلية والدهم.. ثم على ضوء ذلك يتخيل ما قد تحتويه الوصية.. كانا أيضًا حائرين فى سبب تأخير الوصية.. يظنون أن فى نهاية الأسبوع سيحدث شىء كان والدهم يعلمه... وجاء يوم الأحد وتكرر المشهد السابق.. لكن الشىء المختلف هو شدة اللهفة وعظم الأمل والشوق العظيم... جلس السيد فريدمان خلف المكتب كأنه ما قام من مكانه منذ أسبوع مضى... فتح

الدرج وأخرج المظروف وأعاد العملية بحذافيرها... كانوا جالسين على أطراف مقاعدهم بخلاف المرة السابقة... فتح فريدمان المظروف ليجد بداخله مظروفًا آخر وقرأ ما كتبه الأب المتوفى قبل وفاته:

- «يفتح بعد شهر من وفاتى».

تعالت دهشتهم وانتفضوا من أماكنهم وتوجهوا مسرعين نحو فريدمان، لكنه كان أسرع منهم فى وضع المظروف بالدرج وإحكام غلقه.

أهمل الإخوة حياتهم بالكلية باستثناء كامبل.. الذى كان نشطًا... ولأن لا مال ينفق منه أحد.. فقد استمع لنصيحة مؤمن بضرورة العمل من أجل كسب لقمة العيش... أخذ مؤمن يجمع الغاب ويعلم كامبل صنع

السلال والصناديق والأقفاص.. فرح الأخير كثيراً بهذه الحرفة التى لاقت استحسانًا من الناس وأقبلوا يشترون منه منتوجاته البديعة على الطريقة المصرية... وكان هو الوحيد فى إخوته الذى لم يهمل مظهره أو يمد يده لأحد.

واجتمع الإخوة مع السيد فريدمان بعد مرور الشهر وهم على يقين أن ما يحدث إنما هو مزحة أراد والدهم أن يثير ضحكاتهم بها... فى هذه المرة ترى أخوة كامبل وأختيه فى حالة يرثى لها... من انعدام الصبر والقلق وطول السهر والاستماع لوساوس الشيطان.. وقلة المال والأكل من خشاش الحديقة.

جلس فريدمان خلف المكتب هم وقوف حوله.. فتح المظروف ليجد مظروفًا آخر كتب على ظهره:

«يفتح بعد ثلاثة أشهر من وفاتى».

أقبل الأخوة المجانين على فريدمان يريدون تمزيق المظروف.. لكنه استغاث بمؤمن وكامبل.

توسط مؤمن وكامبل الأخوة التعساء فقد طال انتظارهم دون جدوى واستطاع مؤمن أن يهدئ من روعهم وقال لهم:

- أرجوكم.. لا سبيل لكم سوى تنفيذ الوصية، وها هو كامبل لا يعترض.. لماذا لا تكونون مثله؟.. السيد فريدمان يقوم بعمله.. وأنا هنا لمساعدة كامبل ومعاونته على أخذ حقه... وما تفعلونه الآن لا يرضى أحداً.

ثلاثة أشهر أخرى... ثلاثة أشهر سيقضونها خلف قضبان الفقر والفاقة.. لعنوا والدهم وسبوه وأدركوا أنه

ما فعل ذلك إلا ليعذبهم وليؤدبهم... ما تعودوا على شظف العيش منذ نعومة أظفارهم... خلف هذه المظاريف... على سطور فوق ورقة رخيصة.. هناك وصية أو كلام سيريح قلوبهم ويعوضهم عن الفقر وخيبة الأمل. شعر مؤمن بعد الموقف الأخير بضرورة البقاء حتى يطمئن على من استجار به واحتمى بحماه..

بدأ الأمل يداعب الأخوة فى العثور على صندوق الذهب... وكلما خرج كامبل ومؤمن أو ناما قاموا بالبحث عنه وتفتيش كل مكان فى القصر... وعلم كامبل بمرادهم:

- ويحكم، على ماذا أنتم مقدمون؟

- لا شأن لـك بنا يا كامـبل... نحن نبحث عن حـقنا.. ثروة أبينا.

- لكن هذا كله في الوصية.

- الوصية التي تركـها والدك ليصيبـنا بالجنون.. الوصية التي لن تنتهي قبل أن نموت جوعًا وفقراً.

- لن تعثروا على الذهب بهـذه الطريقة... لم يكن أبونا بهذه السذاجة حتى يضعه في مكان يسهل لكم العثور عليه فيه.

- قلنـا لك... لا شـأن لك بـنا... وإذا لم يعـجـبك تصرفنا.. فخذ صاحبك المصري واخرجا بعيداً عنا.

- لا يملك أحد أن يطردني من قصـر أبي.. لي فيه جناح وأضيف فيه من شئت وقتما أشاء.

حاول مؤمن أن ينأى بصاحبه كامبل عن خلافات لا جدوى منها... خاصة وهو يراه يعطيهم من ماله المكتسب باحتراف مهنته الجديدة.. ويساعدهم فى محنتهم.

وذات صباح بعد أن صلى الفجر جلس يراجع الأمر وقال فى نفسه:

«لو كنا فى بلاد الإسلام لاحتاج الأمر إلى مفتى يفتى... لينظر فى حال هؤلاء الأخوة الحيارى المساكين ويفض نزاعهم وينظر أيضًا فى أمر هذه الوصية وما جاء بها بدلاً من تعذيب الناس وإيذاء الورثة.. لكننا لسنا فى بلاد الإسلام.. ولا من مفتٍ هنا.. كما أن قوانين هذه البلاد تحترم وصية الميت حتى لو أصابت الورثة بالأذى... والإسلام يأبى ذلك

لأن فى إتمام العدل مع سرعة تنفيذه راحة للورثة فى الدنيا وللميت فى الآخرة على حدٍ سواء... فما العمل يارب.. ما العمل؟».

لم يهتد لشىء جديد... وكان عليه التقيد بتقاليد تلك البلاد فيما يخص هذا الشأن.. أما عن الأخوة فكان اعتمادهم تقريبًا فى طعامهم على كامبل. وهكذا مرت الشهور الثلاثة وقد فتشوا جميع أركان القصر ولم يعثر أحدهم على شىء ذى قيمة... ومن جديد طرق السيد فريدمان الباب مبتسمًا حاملاً حقيبته وغليونه متوجهًا كأنه فرد من أصحاب القصر إلى حجرة المكتب حيث كان الجميع فى انتظاره أمام الباب... الباب الذى لا يحمل مفتاحه أحد سواه.

ودخلوا خلفه مسرعين.. وبقوا محلقين حول المكتب فأمرهم بالجلوس:

- من فضلكم فليبق كل واحد جالسًا على مقعد حتى أتمكن من أداء عملى.

- لن يجلس أحد... لك أن تأمرنا باتباع ما جاء بالوصية.. ولا شأن لك بما نحن عليه... نحن أحرار فى قصرنا.

ابتسم فريدمان ونظر لمؤمن الذى كان متأهبًا لحماية كامبل... فريدمان يفتح الدرج على مهل ثم يسحب المظروف وينظر إلى الساعة ويبقى صامتًا مما يثير جنونهم:

- سيد فريدمان... ماذا بك.. لماذا لا تفتح المظروف؟

- أنا أنظر فقط للساعة... كل شىء بميعاد... باق دقيقة حتى أكون منصفًا فى عملى... هكذا تكون الشهور الثلاثة قد مرت.

تنهدوا ونفخوا وظلوا يدور بعضهم حول بعض فى الحجرة من شدة القلق، فلما مد سكين الورق إلى المظروف أسرعا نحوه بينما كامبل لا يبرح مقعده مطمئنًا راضيًا بكل ما سيحدث.

أخرج فريدمان مظروفًا أصغر من المظروف الأكبر فتصاعدت زمجرات الأخوة وشرع يقرأ ما كان مكتوبًا على ظهره:

«لا يفتح هذا المظروف إلا بعد مرور ستة أشهر على وفاتى».



هم الأخـــوة على فـريــدمــان الذى أســـرع بوضع الوصية بمظروفها فى الدرج لكنهم تكتلوا عليه.. كان كل منهم يخفى سكينًا فى ملابسه فأخـرجه.. وأدرك فريدمان أنه ميت لا محـالة.. ومع أنهم كانوا فوقه إلا أنه استطـاع إغـلاق الدرج بالمفـتـاح ثم ألـقـاه لمؤمن فأخفاه فى جيبه وشهر سيفه.. كانوا ثلاثة ذكور وبنتين فى حـالة مـزرية.. مـلامح الجـوع والـقلق أصـابتـهم بالشراسة... تحلقـوا حول مؤمن.. فقفز كـامبل شاهرًا سيفه هو الآخر بجانبه:

- إياكم أن ترتكبوا حماقة ما.

- أعطنا المفتاح وإلا....

انسحب فريدمان واستل بهدوء جسمه خارج الحجرة

ثم جـرى وهو يعلن عدم تـدخله فى الأمر بعـد ذلك...

وفوجئ كامبل أن مؤمن يقول كلامًا غريبًا:

- اسمعوا... سأعطيكم المفتاح... سنفتح الوصية.

- ماذا؟... هل أنت مدرك لما تقوله يا مؤمن؟

حدقوا فى عينى مؤمن وأدركوا أنه صادق فيما ادعى فأخفضوا سكاكينهم وأقبلوا عليه ينافقونه:

- اســمع يا مـؤمن... نحن نشكر لك تعـاونك مـعنا... وأتعهد وأنا الأخ الأكبر أن يعطيك كل واحد منا نسبة مرضية من الميراث.

- لا أريد شـيئًـا منكم... فـقط أنا على دين لا يقـبل بما يحدث هنا.

- ماذا تعنى.

- عندنا فى الإسلام مبدأ.. وهو أنه لا وصية لوارث... بمعنى أن الوارث الشرعى لابد أن يأخذ حقه، شاء الميت أم أبى.

- يحيا الإسلام.. يحيا الإسلام... هل تعنى بذلك أنك...

- سأفتح الوصية فقط لنعرف مكان صندوق الذهب... لكنى لن أتهاون فى تقسيمها بينكم بالعدل.. ولن أتهاون فى حق كامبل أبداً.

لم يصدق أحد ما يسمع، عندما أخرج مؤمن المفتاح وأمرهم بالجلوس وعدم القيام من المقاعد مهما حدث... ولكن كامبل عاتبه:

- مؤمن... لماذا لم تخبرنا برأيك هذا من قبل.

- علىّ احترام قوانينكم يا كامبل... لكن لما تخلى رجل القانون عنكم.. وأدركت أننا لو فتحنا

الوصيـة فلن يصاب أحد بأذى مـن قبل السلطان.. فلا بأس.

نهض بعضهم وجذبوا كامبل إلى مقعده:

- ما هذا يا كامبل... ألا من شيء يعجبك... اجلس.

جلس مـؤمن خلف المكتب وفتح الدرج وأخـرج المظروف.. وأسرع بشجاعة وفتحه فوجد به مظروفًا آخر لا يفتح إلا بعد سنة وآخر لا يفتح إلا بعـد سنتين إلى ثالث وأخير كـان الميت يطلب ألا يفتح إلا بعـد ثلاث سنوات. كان يقـرأ عليهم هذه الأوامر الزمنيـة. وأدركوا كم فعل من معروف فيهم.

وأخيراً فتح المظروف الأخيـر... كان به ورقة كبيرة.. مطوية.. قـصهـا وهو يشيـر إليـهم بنظراته أن يبقـوا فى

أماكنهم وألا ينهض منهم أحد حتى يكمل قراءة الوصية ثم تلا ما فيها:

- أبنائى الأعزاء... هذا آخر ما تقرأونه لى.. وآخر شىء أطلبه منكم.. أعرف أنكم قد امتثلتم لأوامرى ولم تفضوا هذه الوصية إلا بعد ثلاث سنوات من موتى... معذرة إن كنت قد أخرتها عنكم كل هذا الزمن... أحببت فقط أن أعلمكم آخر شىء وأهم شىء قبل أن تنسونى تمامًا.. إنه الصبر والعمل.. لابد أنكم ذقتم فى السنوات الثلاث الجوع والحرمان واحتجتم إلى المال فلم تجدوه... ثم قمتم لأول مرة فى حياتكم بالاعتماد على قوتكم وبذلتم العرق من أجل كسب المال حتى تتمكنوا من العيش وإلا متم من الجوع... أتمنى ذلك..

وإن كنت.. أتمنى... إلا أننى لا أعتقد أن كلكم سيفعل ذلك... أظن أن هذه السنوات الثلاث قد أفرزت معدن كل واحد منكم... والآن انظروا إلى أنفسكم وستعلمون من الذى نجح ومن الذى فشل... عودتكم منذ نعومة أظفاركم وكان هذا خطأ كبيرًا.. على الترف والرفاهية... وكانت أمكم رحمها الله تعاوننى على ذلك... وعندما دنا أجلى وأدركت بحتمية الموت وأنى لن أبقى لكم مدى حياتكم وأنكم سوف تبذِّرون من بعدى وتسرفون ثم تضيعون كل ما تركته من ميراث وثروة.. قررت أن أفعل شيئًا قد يعين البعض منكم على نفسه... لكن ربيتكم وأعرفكم واحدًا واحدًا.. بل أكاد أجزم وأخبركم

الآن بعـد ثلاث سنوات من مـوتـى.. من فـيكم الذى نجح ومن الذى فـشل... لكن سـأدع الأيام تخبـركم بدلاً عنى... أظن الآن أنكم متشـوقون للأمر الهام... أعتقـد الآن أنكم قد نسيـتم شكلى.. وأن حديثى هذا إليكم لن يظل فى آذانكم بعد نهايته إلا قليلاً... آسف أن أحييت هذه الذكرى التى انتهت منذ زمن... فلكل شىء فى الحياة ثمن... وأنتم بعد قـليل ستقبلون على ثروة هائلة... ثروة جـمعـتـها بعـرقى وكدى وعـقلى طوال عمرى... ثم اكـتشفت مدى غبـائى وحمقى... جمـعت مالاً عظيمًا وسـأتركه لغيرى... ثم سـأواجه حـساب الله عـليه.. مع أننـى لم أستـفـد به.. لذلك.. ولأننى أخشى حسـاب الله... فلابد أن أضع هذا المال

فى يدٍ أمينة.. يد مثمرة معمرة.. وليست مفسدة مدمرة ... لأنى لو نجحت فى ذلك... فسيكون الحساب من الله يسيراً وفى صالحى.. لذلك يا أبنائى الأعزاء... بعد ثلاث سنوات من رحيلى.. يمكننى أن أخبركم أن ثروتى كلها حولتها إلى سبائك الذهب. وموضوعة فى صندوق خشبى متين... إذا أردتم الحصول عليه... فللقصر قبو وفى نهاية القبو انظروا للجدار... هناك حجر.. عند نزعه من مكانه سيفتح لكم باب إلى الذهب.. إلى الحياة الرغدة.. أعلم أنكم الآن لا تطيقون قراءة المزيد... الوداع يا أحبابى... الحياة للخيِّر، أما الأشرار فأتمنى أن يلحقوا بى فى أقرب وقت.. حتى يأخذ صاحب الحق حقه... فوجئ

مـؤمن قبل أن يتـم السطر الأخيـر أن الإخـوة ما عـدا كـامبل قـد جروا يتـخبط بعـضـهم ببعض نحـو قبـو القصر:

- مـــاذا تنتظـر يا كـــامـــبل... يجب أن نذهـب ونكون معهم.. كامبل.. هل تبكى.

- تذكرت أبى يا مؤمن... كـان علينا تنفيذ وصيتـه كما خطط لها.

- وهل يعقل يا صاحبى أن يموت الناس جوعًا ولديهم مال مكنوز.

- مـــعك حق... لكن أنـا لا أريد الذهاب خلف الـكنز والمال.. الحمد لله... لقـد أصبحت أكسب مـالاً وفيرًا من حرفتى التى علمتنى إياها.

- كامبل... لابد لى من العودة إلى مصر... بقائى هنا كان مرهونًا برغبتك فى أن أطالب بحقك فى التحرك... أما الآن.

- لا تتركنى يا مؤمن... أنا مازلت فى حاجة إليك.

- كامبل... أو تعرف.... أن الوصية غريبة.. ومقلقة بعض الشىء... وأرى أن والدك كان يعرف أنك أنت الوحيد الذى سينجح فى اختباره الشاق هذا.. أليس كذلك؟

- لو انتظرنا الثلاث سنوات يا مؤمن.. لتغير الأمر ولكانوا أعقل لأمورهم ولاعتمدوا على أنفسهم.

- بل قل غير ذلك يا كامبل... كيف لرجل أهمل تربية أولاده طيلة حياته حتى كبروا ثم يريد تغييرهم إلى حال آخر بعد مماته... ما هكذا تكون التربية... إن والدك لم يكن واضحًا فى وصيته.

- ماذا تقصد؟

- أقصد... أقصد أنه فى الحقيقة لم يقل الحقيقة... بمعنى أوضح... لقد أراد أن يعذبهم بدلاً من الكفاح والتغيير المزعوم.. وأشك أن الصندوق المليء بالذهب فى القبو كما قال...

- ما.. ما... ماذا تقول يا مؤمن بالله عليك؟..

- أقول لك... مر ما يقارب نصف العام على وفاته، فهل رأيت التغيير الذى حدث لإخوتك... لقد ازدادوا مجونًا وإسفافًا... الناس يتكلمون عن سوء أخلاق إخوتك... يقولون كلامًا لا يرضى أحداً... منهم من استدان حتى سرق ومنهم من تسول ومنهم من تطفل عليك... هل تظن أن هذا هو التغيير... إن ما فعله والدك كان انتقامًا منهم.. انتقامًا لا أدرى

سببه... ولو ظلوا ينتظرون الوصية لثلاث سنوات ما بقى منهم أحد إلا وهو فى السجن أو قد مات قتيلاً بسبب الفقر.

تنهد كامبل ونظر لمؤمن كأنه يكتشفه من جديد... وبدا أن الحديث يلقى موضعًا راضيًا منه ولكن مؤمن لم يسكت:

- والدك كان يعلم أنك أنت الوحيد يا كامبل الذى يستحق الثروة، لكنه سيبدو أمام الناس بعد مماته باعتباره رجلاً غير عادل وسيلعنه المجتمع... لقد التف حول العرف والعادة والقانون... هل تعلم معنى السطر الأخير فى الوصية يا كامبل... يقول والدك:

- «الحياة للخيِّر.. أما الأشرار فأتمنى أن يلحقوا بى فى أقرب وقت». ذكر الخيِّر.. وهو شخص واحد فقط..

هو أنت... وذكـر الأشرار أكـثر من واحـد وتمنى لهم الموت يا كامبل... وكان أولى به أن يقول.. أما الشرير فأتمـنى أن يلحق بى فى أقرب وقت... إذاً هو يعنيـهم بالحديث.. أليس كذلك.

- كفى... كفى يا مؤمن... كفى كفى.

- أتمنى لو تخبرنى بالحقيقة يا كامبل.

قال والعبرات تخنقه:

- لا شىء... هيـا... هيا نذهب إليـهم ونأخذ حـقنا فى الميراث.

مضى كامبل يخرج من الحـجرة فى طريقه إلى القبو، وشعر مؤمن بشىء لم يرد تأخيـره، فجرى خلفه وجذبه من ذراعه واستوقفه:

- كامبل... أخبرنى... لماذا أنت وحدك.

- ماذا؟

- لماذا أنت وحـــدك الذى لا تسـعـى للحـصــول على الذهب.

- ماذا بك يا مؤمن... أقول لك هيا بنا نلحق بهم.

- لا... أنت توهمنى بهـذه الرغـبة... أنت تخـدعنى يا كامبل... وأكاد أوقن من ذلك... إنك تجـعلنى اعتقد بذلك... لكن الحقيقة غير ذلك...

- مؤمن.. من فضلك لا تنس أنك هنا من أجل ذلك... هيا بنا.

تنهد مـؤمن ثم تبع كامـبل الذى كان يعـرف الطريق إلى القـبـو.. فى الجـهـة الوسطى من القـصـر... حـيث يعـبـران منطقـة المطابخ ويـمران بـالمطبخ الأوسط الذى ينتـهى بباب يؤدى إلى ممر صـغيـر يطل على درج هابط

نحو باب هو باب القبو... كان الباب مفتوحًا... أما القبو فهو عبارة عن ممر واسع متقوس السقف.. مظلم رطب.. تعود هؤلاء الغربيون على صنع الخمور وحفظها فيما يسمى بالأقبية.. لأنها بعيدة عن أماكن المعيشة.. خاصة وأن الخمر فى مراحل تصنيعها تتصاعد منها روائح شديدة النتن لا يطيقها أحد.

كان الإخوة ما يزالون يبحثون عن الحجر الذى أخبرتهم به وصية والدهم.... وذهب بعضهم ليوقد المشاعل حتى يتمكنوا من رؤية أفضل... نظروا فى الجدار المقابل أى فى نهاية القبو... فحصوه بعناية فائقة... مع لهفتهم الشديدة وشوقهم الجامح...

صرخت بنت وهى تضع يدها على الجدار:

- ها هو... عثرت عليه.. عثرت عليه.

حجـر صغير ناتـئ عن الجدار لا يكاد يلحظ... لولا أن حوافه بارزة مـا فطن إليه أحد... ظل مؤمـن وكامبل يراقبان مـا يحدث... أخذ الإخوة يجـذبون الحجر الذى كان يتحرك من مكانه... تعجب مؤمن وهو يرى الأخوة الخمـسة يدفع بعضـهم بعضًا يتـسابقون فى حـمى بالغة عندمـا بدأ الجـدار بكليتـه يغـوص فى الأرضـيـة وبان للجميع أن شيئًا ما خلفه.

أحضروا المشاعل فظهر لهم سرداب مظلم ينحدر بميل طفـيف لأسـفل... بدأت مـزاحمـتـهم تقل... الأمـر فى حاجـة لشجـاعة... إلى أين يؤدى هذا الـسرداب؟.. بدأ بعضهم يرفع بعضًا فى تراجع حذر، وشعر مؤمن أن لدى كل واحد منهم رغبة مكتـومة للتقاتل من أجل الذهب...

تراجعت البنتان وتقدم الرجال... ولم يدخل مؤمن وكامبل إلا بعد أن غاب الجميع فى ظلام السرداب.

مسافة طويلة يمرون خلال هذا الممر الرطب المخيف... تتجمع فى الرءوس ملامح وجغرافية القصر.. تحاول تحديد الاتجاه الذى يندفع فيه السرداب... إلى أين يذهب بهم؟ لابد أنهم الآن قد تركوا القصر ويسيرون تحت الأرض إلى مكان مجهول. إحساس فظيع بالرعب... الخوف من المفاجأة... أشباح.. وحوش... قد يهون كل هذا بجانب أن تكون هناك خدعة أخرى من الوالد الذى رحل من زمن ليس بالبعيد.

كان مؤمن يؤخر كامبل ويمنعه من الاندفاع خلف إخوته.. مع أن كامبل حرص فى كل لحظة على الوقوف

معـهم... لا يهمه الذهب بقـدر ما يهمـه أن يجنبهم أى خطر قد يحيق بهم.. كان يسير مع مؤمن فى الخلف:

- أعجب لك يا مؤمن ولأمرك.

- لماذا؟

- بعـد كل مـا حكيتـه لى عن مـغـامراتك وعـجـائبك وشـجـاعـتك وإقـدامك... أخـبـرتنى أنك واجـهت أخطارًا تفوق ما نحن فيه بمراحل.. ومع ذلك أراك هنا تتراجع... وكـأنى أسمع دقـات قلبك الذى يضطرب من الخوف.

- أولاً: قلبـى لا يوجب، إنما هى مـبـالغـة مـنك فى استفزازى يا صديقى.. ثانيًـا: أنا أعتبر نفسى هنا فى السـرداب فى نزهـة بالمقـارنة بأهوال عـشـتـهـا من قـبل... لكن مـا غـاب عـنك أن مـهـمـتى الآن هى

حـمـايتك وليس الزج بك فى المهـالك والمخـاطر..
ليس إلا.

ثلاثة ذكور وبنـتان يجرون فى السـرداب شعث غُـبر كالمجانين مع قلق وتوتر وخوف شديد.

فـجـأة يتـشـعب السـرداب إلى خـمـسـة طرق أو سراديب أخرى مخيفة مظلمة، فتوقفوا حتى لحق بهم كامبل ومؤمن.

كان مؤمن فى هذه اللحظات يحاول تجميع خيوط القضية... وأدرك لما رأى أن السرداب يتفرع إلى عدد مـسـاو لأولاده وبـناته مـاعـدا واحـداً. لـم يكن يهم الآخـرين شىء غيـر العثـور على صندوق الذهـب... لكنهم بقوا فى حيرة أمام السراديب الخمسة:

- ما هذا... ما هذا.

- إنه مازال يخدعنا... لماذا لم يخبرنا فى الوصية عن الطريق التى علينا أن نسلكها؟

- اسمعوا... لقد حانت ساعة الحسم فى هذه المشكلة.

- ماذا تقصد يا فريدريك؟

- أقصد يا كارمن أن كل واحد منا يتمنى لو قتل الآخر للحصول على الذهب.

- وكان أبونا يعلم ذلك منا... يعلم أننا سنتقاتل عليه.

- ماذا تقول يا فريدريك.

- انتظرنا يا كامبل.. أكمل يا فريدريك.

- نحن ستة... نحن ستة وهذه السراديب خمسة... هناك واحد... واحد فينا لا يستحق الذهب... لكن من هو.. هذا ما لا نعرفه حاليًا.. أكاد أجزم أن الذهب قابع فى نهاية أحد هذه السراديب الخمسة...

كل واحد منا يمشى فى سرداب ومن يعثر على الذهب فله الحرية... إما أن يعطى الآخرين.. وإما أن يحتفظ به لنفسه.

- ما هذا الكلام يا فريدريك... ماذا تقول؟... أنا لا أوافق على رأيك... الذهب من حقنا كلنا.. ومن يعثر عليه منا يقوم بتقسيمه.

- عاد كامبل للحديث المثالى... ما رأيكم يا إخوانى فيما قلته.

ساد الصمت وأسند مؤمن ظهره للجدار وهو ممسك بعضد كامبل من الخلف. كانوا يفكرون فى شخص منهم لابد أن يتراجع عن اللعبة... ويبدو أن اختيارهم جميعًا وقع على كامبل.

- اسمع يا كامبل... أنت الذى عليه التخلف عنا.

- أنا؟

- نعم... وعلى كل حال... سنصوت ونجمع الأصوات.

- تصوتون على ماذا؟ هه؟... لماذا أنا بالذات الذى تصوتون عليه، لماذا لا يكون أنت يا نيل.. لماذا ليس فريدريك أو مايكل.. أو نانسى أو كارمن...

لم يطل نيل الأكبر فترة النزاع، وحسمها بأن رفع يده وقال:

- أرى أن ندخل نحن الخمسة كل واحد فى سرداب ونترك كامبل... من يوافق على كلامى يرفع يده.

فوجئ كامبل ومؤمن أن الخمسة رفعوا أيديهم بالموافقة.. مما أثار حفيظة مؤمن فتوجه إليهم قائلاً:

- لماذا؟... لماذا.. لماذا تكرهونه إلى هذا الحد؟... مع أنه الوحيد الذى كد وتعب وكسب المال ثم أخذ ينفقه عليكم.

لم يسمعوا له كلامًا ولم يأبهوا لاعتراضه، لأن كل واحد اختار سردابًا وشرع فى دخوله. حاملاً شعلة كبيرة.

عاد مؤمن إلى كامبل وقال بهدوء مناف لما كان عليه:

- دعهم يا كامبل... لا أدرى لماذا أشعر بأن موقفك هذا خير لك.

- هل ترى ذلك؟

- نعم... وأرى أيضًا أن نعود أدرجنا إلى القبو لأن الهواء هنا شحيح... وتأكد أن الله سيعيد لك الحق فى مال أبيك.

- هيا يا مؤمن.

اختفى الخمسة بعد أن تفرقوا فى غياهب السراديب جريًا وراء الثروة.

وعاد مؤمن وكامبل إلى القبو.. حيث كانت هناك أريكة مريحة، فجلسا عليها لا يدع أحدهما النظر إلى الجهة التى سيعودان منها.

وطال الوقت وهما يتحدثان:

- كامبل... هناك ما تخفيه عنى.

- لا يا مؤمن... لا أخفى عنك أى شىء.

- كامبل... هل أعجبك دين الإسلام.

- ارتحت له... وأدركت أنه دين الله... ومعى الحجة على ذلك.

- وما هى حجتك.

- منذ أن كنت صغيراً... كنت أذهب مع جدى إلى الكنيسة.. وأحيانًا كان يصحبنى أبى إليها... وبقيت مواظبًا على حضور الشعائر.. وبعد أن كبرت أخذت أتذكر أن أموراً وتقاليد فى العبادة قد تغيرت على مر هذه السنين... فلم نعد نصلى فى الكنيسة كما كنا نصلى من قبل.. أحوال كثيرة تخص الدين باتت تتغير مع الوقت.

وكانت هذه التغييرات تحزننى... لماذا لا يظل الدين على حاله... هناك قرية كنت أمر بها أثناء رحلات الصيد أتزود منها بالطعام والشراب وأرتاح فيها... قرية تدين بالإسلام... لاحظت على مدار عمرى أن لا شىء يتغير فى صلاتهم.. هى كما هى.. وأخبرنى أحدهم أنه

هكذا كان يصلى المسلمون الأوائل. ولم يتغير شيء من صيامهم ولا زكاتهم ولا حجهم... الدين ثابت على مر السنين.

وهكذا أدركت أن دينا يبقى على ثباته كل هذا الزمن سيظل هكذا ثابتًا إلى نهاية العالم... وأنه بهذا الشكل ليس من تخطيط إنسان... إنما هو دين الله... أما الدين الذى تغير كثيرًا فى فترة قصيرة هى عمرى الذى لا يتعدى الثلاثين سنة... أتساءل كم تغير على مر مئات السنين.. وكم سيتغير بعد ذلك... فلا يمكن أن يكون هو دين الله.

- إذًا أنت مقتنع الآن أن الإسلام ثابت بثبات الله الذى لا يتغير.

- نعم يا مؤمن... الآن يا مؤمن أشعر بالإسلام فى قلبى.. وأحتاج إليك لتعلمنى.

- لن أدعك حتى أعلمك كل شىء.

- مؤمن... ألا ترى أن إخوتى تأخروا.

- لهذا السبب وغيره سألتك عن الإسلام.

- كيف؟

- المسلم لا يكذب ولا يخفى أمراً ذا أهمية عن معلمه.. ضحك الاثنان ولكن ترقرقت بعد ذلك عينا كامبل وقال:

- أنت بارع فى دقة الملاحظة يا مؤمن... هناك فرق بينى وبين إخوتى... فارق كبير.. لا أدرى سببه... كان أبى يعاملنى معاملة مختلفة عنهم فى كل شىء.

- واضح يا كامبل... يعاملك أفضل منهم؟

هز كامبل رأسه علامة النفى فتناثرت دموعه ثم قال:

- بل أسوأ يا مؤمن... فعلت له ولأمى كل ما يرضى أى أبوين فى ابنهما.. كنت أعاقب للاشىء بينما يثاب إخوتى ولو أخطأوا... كانوا يأخذون كل شىء بينما أُحرم أنا من كل شىء... ومع ذلك قررت ألا أخطئ أبدًا وأن أصبح مثالاً للابن الذى يحلم به أى أب.. فأفاجأ بالعقاب والإهانة والتقريع والحرمان.. كانوا يبذرون أموال أبى ويتعدون على حرمات الناس وينتهكون أعراضهم.. كانوا مع ذلك يسرقون... فعل إخوتى كلهم... كلهم بلا استثناء جميع الفواحش والبلايا والرزايا.. فما كان جزاء أحد منهم إلا المزيد من المال والمكافأة... أحسست فى

كـثيـر من الأحـيان أن أبـوىَّ يكرهاننى ولا يقـيمـان العدل بيننا.

- هل هناك شىء آخر يا كامبل.

- قـبل مـوت أبى بشـهور... أخـبـره الأطبـاء بخطورة مرضه... تغيرت معاملته لى تغيراً ملحوظًا... وانقلب رأسًا على عقب، أهمل إخوتى وعاملهم باعتباره غاية فى السوء بينما أخذ يعـاملنى معاملة غاية فى الحنان.. وكنت لا أجد وقتًا للتعجب من ذلك لأننى كنت أنعم بكل لحظة أجده فيـها بجانبى يعوضنى عـما فات من عمرى.

وفى تلك الأثناء كان كل واحـد من الإخوة الخمـسة يتحـرك فى سرداب طويل بحذر شـديد وأمل عظيم فى العثور على صندوق الذهب.

بعد مضى وقت سُمعت صرخات ترددت بين السراديب الخمسة... متقطعة فاحتوتها الجدران ولم تصل إلى مسمع مؤمن أو كامبل.

لكن بعد أن تأخروا فى الرجوع أحس مؤمن بالخطر وقال وهو ينهض:

- كامبل... أرى أن الأمر مريب... لقد تأخروا كلهم.

- هيا بنا نذهب إليهم.

سار مؤمن أمام صاحبه وبيده السيف مستعداً... وعبروا السرداب الأول مسرعين حتى وصلا إلى مداخل السراديب الخمسة... كل شىء يخيم عليه الصمت والهدوء الشديد:

- مؤمن... ماذا ترى... أنا منزعج من أجلهم...

- أمر محير... هيا بنا ننادى عليهم عسى أن يرد علينا أحدهم. أخذ الاثنان يناديان على أسماء الأخوة المفقودين واحداً واحداً.. كان كل منهما يدخل فى سرداب وينادى... لكن ما من مجيب.. أين ذهبوا؟:

- كامبل... يبدو أن ظنى فى والدك قد تحقق.

- ماذا تقول؟

- إنه الانتقام يا كامبل... لماذا لم يرجع أى واحد منهم... لا يعقل هذا.

- سأدخل وأبحث عنهم يا مؤمن.

- لا، انتظر... لا تلق بنفسك فى التهلكة... علينا الانتظار وقتاً آخر.

- لا يا مؤمن....

- تعـقَّل يا كـامبل.. تعـقَّل... فى هذه السـراديب شىء مهلك... ولو دخلت سينالك ما نالهم...

كان كامبل واقفًـا مع ذلك فى مدخل أحد السردايب وبيـده الشـعلة عنـدما لاحـظ شـيئًـا وهـو يمـعن النظر بالداخل:

- مؤمن... تعال... هل ترى ما أرى.

- ما هذا.

كان بالـسرداب فتـحة... فـتحة تؤدى إلـى السرداب الذى يليه:

- كامـبل... إن السراديب يؤدى بـعضهـا إلى بعض من داخلها.. هناك فتحات أخرى.

- وما معنى هذا؟

- مؤمن... سأتقدم.. ولن تمنعنى.. يجب أن أعرف ما جرى لهم.

ظل ينادى وهو يتقدم، وتبعه مؤمن فى حذر، وكان الخوف يحلق فوقهما... فوجئ كامبل بشىء فكتم صرخة:

- مؤمن... ما هذا... ما هذا.

إنها جثة... اقتربا منها.. كانت لكارمن... مطعونة بسكين... أخذ مؤمن كامبل فى ظهره وشهر سيفه بيد والشعلة باليد الأخرى... هناك فتحة تؤدى للسرداب الجانبى... دخلا منها ليجدا جثة أخرى... إنها لفريدريك.

بعد أن مرا بأربعة سراديب عثرا على أربع جثث...

وفى السرداب الأخير.. كانت المفاجأة:

جثة مايكل بجانب صندوق خشبى كبير مفتوح وتلمع سبائك الذهب لمعانًا يدير الرءوس.

- إنه... إنه مايكل.

انحنى مؤمن فوق مايكل كما فعل ببقية الجثث ليفحص الأمر جيدًا، ثم نهض ينظر حوله ويبعد كامبل يمنة ويسرة:

- ماذا يا مؤمن... عن أى شىء تبحث؟

- هناك هامة لدغت مايكل، هو الوحيد الذى لم يمت بالسكين.

- ماذا؟"

كن حذرًا فقد يكون ثعبانًا أو عقربًا بالقرب منا.. انظر يا كامبل... آثار جر وسحب الصندوق من سرداب إلى آخر.

كان كامبل فى حالة يرثى لها فكل أخوته قد قتلوا... لكن من الفـاعل؟!.. ولماذا؟!، مع أن الثروة كلهـا هناك بين يديه.

مـد مؤمن يده وأعـاد الصندوق.. وانتهى الأمـر عند هذا الحد.

وبعد مرور أسبوع على الحدث:

- كامبل... إلى متى ستظل هكذا حزينًا مكتئبًا.

- كلهم ذهبــوا يا مـؤمن... كلهم مـاتـوا ورحلوا عنى بسبب الوصية الخبيثة.

- لقـد أقمنـا لهم مأتمًا ودفـنوا وهم الآن عند ربهم وأنا وأنت بهم لاحـقـون بعـد عـمر مـديد إن شـاء الله... يجب الآن أن تخرج الذهب و....



- وأتمتع به.. أليس كذلك... أنا لا أريد هذا الذهب يا مؤمن... ولن أفتح الصندوق أبدًا.. أبدًا.

- اهدأ يا كامبل.. أنت الآن مسلم موحد.. ومؤمن أيضًا.. والإسلام ينهى عن كنز الذهب والفضة دون إنفاقها فى سبيل الله.

- ماذا؟

- الذهب مال.. وأنت هكذا تعطل المال الذى هو عصب الحياة... أخرجه... وأنشئ به مشروعات تحى بها الأرض بعد موتها... هناك الآلاف من العمال سيفتحون بيوتهم... ويكثر المال وينمو، لكن بالحلال.

ظل كامبل حائرًا لفترة ثم أذعن لرأى الشرع ولكنه طلب من مؤمن أن يفعل ذلك:

- لن أفتح هذا الصنـدوق يا مؤمن... افتـحه أنت وفكِّر أنت فيما يجب عمله.

كان مؤمن هو آخـر من أغلق الصندوق فى السرداب وهو أيضًا أول من سيفتحه الآن.

وعندما مد يده إلى المغلاق تراجع كـأنه تذكر شيئًا ثم قال لكامبل:

- كامـبل... الثعـبان الذى لدغ مايكـل كان بداخل هذا الصندوق.

- ماذا؟

- أكاد أجزم لك يا كامبل... لم يكن هناك من مجرم أو قاتل يسعى خلف إخوتك.

- ماذا تقصد يا مؤمن.

- أقصد أن إخوتك قتل بعضهم بعضًا... وكان والدك يعلم أنه بعد مرور السنوات الثلاث سيصل الأمر إلى ذلك... لكنهم لم يكونوا فى حاجة لسنوات ثلاث... فى الحقيقة يا كامبل.. والدك كان يعرف أبناءه حق المعرفة... كل منهم كان يحمل سكينًا... أول واحد عثر على الصندوق قتل، ثم توالى الصراع حتى بقى كامبل منتصراً، فلما فتح الصندوق ليتأكد من احتوائه على الذهب لدغه الثعبان.. الثعبان وضعه والدك فى الصندوق لهذا الغرض بالذات.

- هذا جنون يا مؤمن... جنون... لماذا يفعل أبى ذلك؟ ولماذا تأكد أننى لست أول من سيفتح الصندوق ويلدغنى الثعبان؟

كان بارعًا وذكيًا يا كامبل... إن السراديب الخمسة تحت القصر أوحت له بالفكرة، وعلم أن إخوتك لن يستبعدوا واحدًا غيرك.

- مؤمن... هذا جنون.

- انتظر حتى نخرج الذهب من الصندوق.

كما توقع هذا البارع الصغير... فتح الصندوق ونظر بين سبائك الذهب والمجوهرات فعثر على ورقة مطوية، فأشار بها إلى كامبل:

- الحل هنا يا كامبل... اللغز كله سيحل بهذه الورقة.

- ما هذه... اقرأها يا مؤمن.. أسرع.

- اسمع يا كامبل... «أتمنى أن تكون أنت يا كامبل من تقرأ هذه الرسالة.. أتمنى... ولقد خططت حتى تفوز أنت وحدك بالذهب.. وأرجو أن تكون خطتي قد

نجحت.. ولعلك تتساءل عن الحكمة وعن سبب كل ما جرى.. سأقول لك بمنتهى البساطة: إننى لم أكن أستحق أن تنادينى بكلمة أبى.. فأنا لست أبًا لك يا كامبل.. أنت ابن أخى.. أخى ريتشارد... كنت تظن أنه عمك... إنما هو أبوك الحقيقى... كنت فاشلاً سكيراً لصًا وكان مجتهدًا ناجحًا ثريًا... أعترف لك أننى قتلته... قتلت ريتشارد أخى فى يوم من الأيام. وأمك الحقيقية.. ماريان.. وكنت رضيعًا فهممت بقتلك لكنى تراجعت واحتفظت بك.. واستوليت على ثروة أخى.. وبها أصبحت من أثرى الأثرياء... كل هذه الثروة من حقك أنت وحدك... لأننى لم أنتفع بها فى الحقيقة... أنجبت ذرية فاسدة مفسدة لا يختلف أحد منهم فى

شىء عن أبيهم... أعتقد أننى الآن فى راحة أكبر.. وقد أعـدت الحق لصاحـبـه.. أما أولادى.. فـلا شك بأنهم بجـانبى الآن فى قبـرى... التاريـخ يعيـد نفسـه.. كمـا قـتلت أخى.. قـتل بعـضـهم بعـضًـا... فكمـا تدين.. تدان... أحمد الله أنهم قـد ماتوا وقطعت عن الدنيا سنة سـيـئـة.. هى أن يـقـتـل الأخ أخـاه لأجل المـــال... سـامـحـنـى يــا كـامـبل... سـامـحنى يا ولدى.. لابد أننى الآن مع أخى الذى قـتلتـه، والآن وأنت تسـتـعيـد ميراثك ومالك الحقيقى.. أرجو أن تسامحنى...

تمت بحمد الله تعالى




مغامرات مؤمن
أقوى سلسلة مغامرات ظهرت حتى الآن
بإجماع الآباء والأبناء